العلويون في طرابلس/ بداية القرن الماضي

الدكتور خليل شتوي

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وبدء الإنتداب الفرنسي على سوريا ولبنان كانت مدينة طرابلس إضافة إلى قضائها وقضاء عكار ضمن ما يعرف بسنجق طرابلس والذي ضم أيضاً قضائي حصن الأكراد وصافيتا، وكانت ولاية بيروت تضم سنجق بيروت وسنجق طرابلس إضافة إلى سنجق اللاذقية. وبالتالي فأن طرابلس في بداية القرن الماضي كانت المركز الإداري لمجموعة سكنية متعددة الطوائف والمذاهب تشكل الطائفة العلوية نسبة تتراوح بين 15 و20% من مجموع سكانها وهي نسبة متقاربة من مجموع سكان ولاية بيروت الممتدة من اللاذقية شمالاً إلى قضائي صور ومرجعيون جنوباً. وبغض النظر عن الأهداف السياسية للحكومة الفرنسية فإن هذا التقسيم إضافة إلى عدم وجود حواجز طبيعية (سلسلة جبال أو وديان) قد كرس فعلياً التواصل ما بين مدن الساحل السوري- اللبناني مع بلدات وقرى ما يعرف بجبال العلويين مع الإشارة إلى أن هذه القرى والبلدات وكذلك مدن الساحل السوري هي أقرب مسافة إلى طرابلس منها إلى حلب وحمص ودمشق. (عدد العلويين في الساحل السوري في تلك الفترة الزمنية راوح بين 250 و 350ألف)

استمر العمل بهذا التقسيم الإداري إلى حين صدور القرارين 318 و319 في 1920/9/1 حين أعلن المفوض العام للحكومة الفرنسية الجنرال غورو ولادة دولتين.

الأولى دولة لبنان الكبير بحدوده الحالية والثانية دولة العلويين والتي ضمت إلى سنجق اللاذقية الجزء الشمالي من سنجق طرابلس أي قضائي صافيتا وحصن الأكراد. وتراجعت وفق هذا التقسيم الجديد نسبة العلويين سواء في سنجق لبنان الشمالي أو في الدولة اللبنانية. أما عن مدينة طرابلس والتي شكلت مع ضاحيتها منطقة إدارية مستقلة فلم يتغير عدد سكانها من الطائفة العلوية وفق كتاب صادر لضابط فرنسي أقام في طرابلس في العقد الثاني من العشرينات (ترجم الكتاب اللواء المتقاعد ياسين سويد) فإن عدد العلويين في المدينة قد بلغ 600 من أصل 18000 أي بنسبة 3%.

- **<u>التعداد والإحصاء</u>**

في العام 1913 أجرت الدولة العثمانية احصاءً عاماً للسكان وفق توزعهم الطائفي، ولا يبين هذا الإحصاء وجود علويين في مدينة طرابلس (المؤرخ فاروق حبلص) مع الإشارة إلى احتمال اغفال الدولة العثمانية لذكر العلويين كطائفة سواء في لبنان وسوريا وتركيا.

في العام 1921 أجرت الدولة اللبنانية احصاءً عاماً للسكان وتـوزعهم وفـق الإنتماء الطائفي وتبرز جداول الإحصاء عدد المنتمين إلى الطوائف، كل طائفة على حدة، باستثناء العلويين الذين جمعهم مع اللاتين بند "مختاف" وقـد بلـغ عددهم أي العلويين واللاتين 8231 نسمة أي ما نسبته 1.47 مـن المجمـوع العام للسكان اللبنانيين والبالغ عددهم 558933.

في العام 1932 أجرت حكومة أوغست باشا أديب إحصاءً ثانياً للـسكان بلـغ بموجبه عدد المقيمين على الأراضي اللبنانية 793396 نسمة موزعين أيـضاً على الطوائف ما عدا أيضاً العلويين واللاتين والذين بلغ عددهم 6393 نـسمة أي ما نسبته 0.8 من مجموع السكان، أي بتراجع نسبته 0.7 عن عددهم فـي الإحصاء الأول. وتبين جداول إحصاء العالم 1932 تراجع نـسبة الـدروز والمسيحيين (بإستثناءالبروتستانت) وزيادة نسب الطائفتين السنية و الشيعية.

في العام 1942(31 كانون الثاني) جرى تعداد للسكان في سـجلات الاحـوال الشخصية وتبين أن عدد الأهالي الوطنين قد بلـغ 1014506 مـن ضـمنهم وللمرة الأولى عدد اللاتين بشكل منفرد، (3044) وضمن بند "مختاف" أيضاً 6112 فرداً (والمفترض أن يكون هذا الرقم يعكس عدد اللبنانيين من الطائفـة العلوية).

ونظرا لغياب احصاء رسمي يبين عدد العلويين اللبنانيين فأن جداول الـشطب للانتخابات المتتالية تعكس بصورة دقيقة نسبة العلويين في لبنان و التي تتراوح ما بين 0.7و0.8من مجموع الناخبين. بينما بلغت نسبة الناخبين اللاتـين 0.4 من مجموع عدد الناخبين , أي أن نسبة الناخبين العلويين واللاتين هـى فـى حدود 1.2 وهي معدل لنسب أعدادهم في إحصاء1921 , 1931 وفي تعـداد 1942.

عدد الناخبين العلويين وبالتالي تقريباً عدد الـسكان(القاعـدة المتبعـة لتعـداد السكان: عدد الناخبين x 1.8) لا يعكس بالضرورة العـدد الفعلـي للعلـويين اللبنانيين نظراً لأن عدداً غير محدود من العلويين قد تم قيـده فـي سـجلات الأحوال الشخصية كمنتم إلى طائفة اسلامية اخرى سنية أو شـيعية، كمـا أن عدداً آخرغير محدد قد لجأ الى تغيير مذهبه قيداً وذلـك للـتمكن مـن اتمـام معاملات الزواج(رفض المحكمة الشرعية السنية و بشكل متقطع اجراء عقود زواج علويين مع سنيات) أو سعياً إلى دخول الإدارة العامة و التوظيف. من جهة اخرى يتم التداول من حين إلى آخربعدد للعلويين يناهز 100 ألف أي ما نسبته 2.5 % من مجموع السكان و هو رقم لا يعكس الواقع أيضاً وبالإمكان وفق هذه المعطيات تقدير عدد العلويين اللبنانيين ما بين 60 و80 ألف مواطن.

و في مراجعة لمراسيم التجنس الصادرة في الجريدة الرسمية و ذلك بدءاً بالعام 1926 وانتهاءاً بالعام 1965 فإن عدد العائلات العلوية التي اكتسبت الجنـسية اللبنانية بموجب مرسوم لا يتجاوز مئة عائلة(دراسة لم تنشر لكاتـب المقـال) في حين أن المجنسين من الطائفة العلوية المرسوم 5247 تاريخ 1994/6/30 قد بلغ 2929 عائلة أي 3% من مجموع المجنسين (دراسـة للباحـث كمـال فغالي).

<u>* مواقع السكن والعمل:</u>

موقع السكن الأساسي للعلويين في طرابلس كان منطقة التبانة بجناحيها الغربي والشرقي والذي يفصل بينهما شارع سوريا، في الجانب الشرقي تركز سـكن العلويين بداية في حي السيدة حيث كنيسة ومدرسة السيدة العـذراء للرهبانيـة المارونية، في الجانب الغربي سكنوا في حي البعل الموازي لـشارع سـوريا حيث تسكن غالبية من الطائفة السنية. لم يقتصر سكن العلويين في بداية القرن على منطقة التبانة وحدها نظراً لضيق المساحة الجغرافيـة وعـدد المـساكن المتوفرة وبالتالي فأن نسبة وإن غير مرتفعة سكنت أحياء المدينـة الأخـرى، ومع ازدياد عدد السكان كان لا بد من التمدد والإنتشار، ألتمدد حصل ليـشكل تواصلاً ما بين حي السيدة وحي التبانة الأساسي فامتد البنـاء إلـى الـشارع المعروف بشارع الجامع حيث مسجد الإمام علي بن أبـي طالـب (كـرم ا

وجهه) إضافة إلى ما يسمى بكواع القبة، واستمر التمدد نحو الشمال لنشهد حي "الحارة الجديدة" ونحو الشرق بإتجاه الساحة المعروفة بساحة الأميركان.

جبل محسن آنذاك كان عبارة عن أرض زيتون تملكها من ضـمن عـائلات أخرى عائلة محسن من أبي سمراء، بعل محسن لم يشهد حركة عمرانيـة إلا في نهاية الخمسينات وبداية الستينات مع الإشارة إلى أن اولى المبـاني التـي شيدت في الحي تحمل اسم "البخعوني" تيمناً ببخعون بلدة آل جمـال. المنطقـة التي سكنتها غالبية العلويين لم تكن ذات غالبية علوية، هـي منطقـة سـكنية مختلطة يتجاور فيها المسلم والمسيحي، هذا الواقع السكني بقـي علـى هـذه الصورة حتى بداية الحرب الأهلية التي كان من نتائجها فرز سكاني مـذهبي لتتحول منطقة سكن العلويين إلى منطقة سكن "علوية"، كما ساهم النزاع المسلح في المدينة وطابعه المذهبي في فترات متلاحقة إلى وقف إنتشار سكن العلويين في الأحياء الأخرى للمدينة.

- **<u>موقع العمل</u>**

العلويون الذين عمل غالبيتهم في قطاع التجارة بدايـة، كانـت لهـم محـالهم التجارية في سوق القمح أولاً ثم امتداداً ألى الجسر فسوق البازركان وصـولاً إلى خان الخياطين كما كان للعلويين وما زال تواجد فـي الـشارع الأساسـي لمنطقة التل.

وكما شهد موقع السكن تغييراً بفعل النزاع المسلح، كذلك انخفض عدد المراكز التجارية التي يملكها أو يشغلها علويون في المدينة والذين انكفأ قسم منهم إلى منطقة بعل محسن أو آثروا ترك المدينة.

- **الوضع الإجتماعي:**

غالبية العلويين في بدايات القرن الماضي كانت تنتمي إلى "الطبقة الكادحة"، الميسور منهم من كان يملك متجره، ومنهم من كان يملك ألمتجر والمسكن ومع الزمن هناك من امتلك المبنى، ولا يختلف العلويون بذلك عن الغالبية التي سكنت منطقة التبانة آنذاك ولا عن الأحياء الواقعة شرقي نهر أبو علي كالحدادين والسويقة. ولكن بالرغم من مشاركة العلويين في الحياة العامة والسياسية على صعيد المدينة، إلا أنه لم تبرز منهم شخصية لعبت دوراً مهماً أو متقدماً كما تدل على ذلك مراجعة أرشيف الصحافة المحلية للمدينة.

- **العلاقة الطائفية**

في طرابلس حيث التواجد الأكثري للعلويين فإن المرجع الشرعي المعتمد إدارياً لهم ومنذ بدايات القرن الماضي كانت المحكمة الشرعية السنية فكانت عقود الزواج والطلاق تعقد في إطار هذه المحكمة والتي كانت تنظر أيضاً بقضايا الأحوال الشخصية للعلويين وذلك رغم الإختلافات المذهبية ما بين الطائفتين. واستمر العلويون في التعامل مع المحكمة الشرعية السنية حتى بعد

نشوء محكمة جعفرية في طرابلس في تشرين الأول من العـام 1974. وإلـى حين بناء مسجد الإمام علي بن أبي طالب (كرم ا وجهه) فان الصلاة علـى الميت كانت تقام في مساجد خاصة بالطائفة السنية، إذا جاز التعبير، كما كـان رجال دين من الطائفة السنية يقومون أيضاً بالمراسم الأخرى المتعلقة بالوفاة.

الجانب الأهم في العلاقة الإجتماعية ما بين أبناء الطائفتين السنية والعلوية هو نسبة التزاوج المختلط والذي بلغ وفق دراسة للدكتور يوسـف كفرونـي (دار البلاد – 2008) نسبة تقارب أو تزيد عن 30%، 34% من العلويين زوجاتهم سنيات، 27.3 من العلويات تزوجن من سنيين.

- **<u>العلويون والمدينة</u>**

بالنظر إلى الإختلاط الطائفي والمذهبي: سواء في مواقع السكن أو في مواقـع العمل، كان التواصل هو عنوان العلاقة التي جمعت العلويين بأبناء مدينتهم ولم تشهد هذه العلاقة أي أزمة عامة أو مهمة بإستثناء أحداث فردية اتخذت طابعاً مذهبياً. من ناحية أخرى لم يتبوأ أي علوي منصباً أو موقعاً سواء على صعيد المدينة أو في لبنان بالطبع، إذ اقتصر تمثيلهم في العقود الرابعـة والخامـسة والسادسة على "التمثيل الإختياري – مخاتير"، وتعاقب على هذا الموقع: محمد الشامي- محمود ادريس – محمد ناصر – محمود الشامي، أما دخولهم الإدارة اللبنانية فقد بدأ خجولاً ومتأخراً ومتواضعاً وكان ذلك في إطار التعليم وكـان

من أول خريجي دار المعلمين في بيروت الأستاذ صلاح عكاري ليتبعه تعيين مدرسين من حملة الشهادات التكميلية آنذاك، وخارج إطار التعليم فكان أول ضابط من الطائفة العلوية التحق بالمدرسة الحربية لم يكن مسجلاً كعلوي قيداً، في حين لجأ قسم آخر ممن تبعه إلى تغيير مذهبه، الموقع الأول المنتخب لعلوي في المدينة كان عضوية مجلس بلدية طرابلس في انتخابات العام 1963 والذي شغله الأستاذ أحمد حسن خليل، كما اسند المنصب الإداري الأول في المدينة وهو موقع رئاسة دائرة المساحة (فئة ثالثة) إلى المهندس أحمد درويش. وبالطبع فأن هذا التمثيل لا يتناسب مع عدد وكفاءات العلويين في لبنان.

بداية التحول على أكثر من صعيد: إجتماعي – ثقافي – مهني،بدأت في منتصف الخمسينات وهي مرحلة شهدت إنشاء جمعيات ومؤسسات تربوية وحيث كان التعليم الموقع الأول لنشاطاتهم نظراً لعدم وجود مدارس رسمية في مناطق سكنهم فكان دور المربين صلاح الشامي – سعد أبوحلقة – يونس حسن في تأسيس مدارس إبتدائية في طرفي موقع سكن العلويين: حارة البرانية والملولة.

إضافة إلى التعليم، أنشأ أحمد الشيخ وفي أواخر الخمسينات الرابطة الخيرية الإسلامية العلوية والتي أشرفت على بناء مسجد الإمام علي بن أبي طالب (كرم ا وجهه) بتبرعات من العلويين، فقرائهم قبل أثريائهم، كما شهدت هذه

الحقبة صدور صحيفة "يقظة لبنان" وهي صحيفة محلية كانت تنـشر أخبـار الحي والمدينة والوطن ولا زال ناشر الصحيفة العصامي جميل العلـي يتـابع قدر ما استطاع عمله، صحافي آخر برز أيضاً هو الأستاذ ابراهيم رمـضان، على الصعيد الرياضي عصامي آخر هو الأستاذ بدر عليشة الذي أنشأ نـادي الكفاح الرياضي المشارك في منتخب وفي دورات أقليمية ودولية عـدة. كمـا برز في الحقل الرياضي أيضاً كل من جميل درويش الذي كـان لـه الـدور الأساسي في بلوغ فريق حركة الشباب مصاف أندية الدرجة الأولى، وكـذلك يوسف بدور. حقبة الستينات شهدت تخرج الدفعة الأولى من المحامين ليتبعهم خريجو دور المعلمين وبدءاً من أواخر الستينات ظهر خريجو كليـات الطـب والهندسة والصيدلة.

هذا هو واقع العلويين في طرابلس في الفترة الممتدة مـا بـين 1918/ 1968 وهو مختلف عن الواقع الحالي، تراجع الإنتـشار وتقلـص الإمتـداد وفقـد التواصل، طرابلس عيش واحد معاً، نعم في الحقبة الأولى، مـا بعـد النـزاع المسلح الأول والثاني والأخير لا بد من الإعتراف بأنه "عيش واحد ولكن كـلاً على حدة". من هنا واجبنا جميعاً أن نستخلص ألعبر مما حدث لخلق الظروف المناسبة لإعادة العلاقات ما بين أبناء المدينة إلى سـابق عهـدها وأن تكـون

المرحلة السابقة – مرحلة النزاع – هي الإستثناء الذي يؤكد علـى القاعـدة:

طرابلس للجميع ولا تحيا بفقدان أو عزل طرف من مكوناتها.

توزع اللبنانيين وفق الطوائف :

الطوائف	إحصاء ١٩٢١		إحصاء ١٩٣٢	
	مقيمون أو غائبون مؤقتون	٪ بالنسبة إلى مجموع السكان	مقيمون أو غائبون مؤقتون	٪ بالنسبة إلى مجموع السكان
سنة	١٢١٩٦٤	٢١,٨٢٣	١٧٨١٠٠	٢٢,٤٤٧
شيعة	١٠٣٠٣٨	١٨,٤٣٦	١٥٥٠٣٥	١٩,٥٤٢
دروز	٣٩٩٤١	٧,١٤٧	٥٣٣٣٤	٦,٧٢٢
موارنة	١٧٥٧٠٢	٣١,٤٣٥	٢٢٧٨٠٠	٢٨,٧١٢
روم كاثوليك	٣٨٥٦١	٦,٨٩٩	٤٦٧٠٩	٥,٨٨٧
روم أرثوذكس	٦٧٨٥٦	١٢,١٤٠	٧٧٣١٢	٩,٧٤٥
بروتستنت	٣٦٣٠	٠,٦٥٠	٦٨٦٩	٠,٨٦٥
أرمن أرثوذكس			٢٦١٠٢	٣,٢٨٧
أرمن كاثوليك			٥٨٩٠	٠,٧٤٢
سيريان كاثوليك وأرثوذكس			٥٥٢٦	٠,٦٩٧
إسرائيليون			٣٥٨٨	٠,٤٥٢
كلدان أرثوذس وكاثوليك			٧٣٨	٠,٠٩٢
مختلف *	٨٢٣١	١,٤٧٠	٦٣٩٣	٠,٨٠٥
المجموع	٥٥٨٩٢٣		٧٩٣٣٩٦	

* مختلف: العلويون واللاتين

Source: Rapport à la SDN pour l'année 1932, p. 139.